



بعد أن مر الموعد المقرر من قبل لعرض حلقة أخرى من مسلسل أستانة الممل، وزاد تثاؤب المترججين، جراء خلو هذا الإنتاج التلفزيوني من كل عناصر التسويق والإثارة الالزمة لاستقطاب المتابعين، أعلن وزير خارجية كازاخستان تأجيل عقد الاجتماع الدوري المنتظم لما يُعرف باسم مسار أستانة، إلى أجل غير معلوم، فكان وزير الدولة المضيفة كمن يعلن عن انتهاء فعاليات معسکِ كشفي، قبل أن يتم توزيع الجوائز الرمزية على المشاركين، في ختام هذا النشاط الترويجي.

لم يمر وقت طويلاً، حتى تبيّن أن إعلان كازاخستان عن فض هذه اللعبة الملفقة من ألفها إلى يائها، كان قراراً غير منسق مع موسكو، ان لم نقل إنه كان مفاجئاً للدولة التي أعدت هذه الدراما السياسية الباهتة، في أوائل العام الجاري، وأخرجتها كييفما اتفق، الأمر الذي حدا بنائب وزير الخارجية الروسية إلى الإعلان أن مؤتمر أستانة تأجل بضعة أيام فقط، وأنه سيعقد في العشرين من شهر يونيو/ حزيران الحالي، وكان شيئاً لم يصدر عن الجمهورية الآسيوية السوفياتية السابقة.

ولعل هذا التضارب في الدعوة إلى عقد اجتماع النسخة الخامسة من مؤتمر أستانة، بين الدولتين، المضيفة والراعية، أي كازاخستان وروسيا، هو بمثابة أول ورقة نعي لهذا المسار الذي سبق لموسكو أن اختارت مكانه وزمانه على نحو مرير، وحدّدت هويات أعضائه المشاركين بشكل تعسفي، في لحظة بدت مواتيةً للدولة التي أملت نفسها على جميع الأطراف، في أعقاب معركة حلب الفاصلة بين مرحلتين من زمن الثورة السورية، حيث بدت روسيا آنذاك صاحبة اليد العليا في مسار الأزمة الدامية الطويلة.

ويصّح هذا الاستنتاج المتعلق بدنو أجل مسار أستانة، حتى وإن انعقدت جلسة أخرى في الموعد الجديد الذي حددته موسكو من دون استئذان مسبق من شريكها الإقليميين؛ إيران وتركيا، بل وربما من دون التشاور مع الدولة المضيفة التي درجت، في العادة، علىأخذ زمام المبادرة بتوجيه الدعوات إلى المشاركين، وتحديد يوم انعقاد المؤتمن، بالتفاهم مع الدولة الراعية هذا المسار الذي ظل يراوح مكانه، في ظل حالة تكاذبٍ يقوم بها أغلب المشاركين، بادعاء النجاح في ختام كل جولةٍ حافلة

تستند هذه المقاربة لِمَالَاتِ مؤتمر أستانة إلى حقيقة مستمدَة من منطق عقد هذا المؤتمر الذي تم توقيتُ أول جولة له في الثاني والعشرين من شهر يناير/ كانون الثاني الماضي، أي في لحظة الانتقال السياسي في البيت الأبيض، إن لم نقل لحظة فراغِ أمريكي كان قائماً من قبل، بلغت ذروته في تلك الفترة التي كانت فيها روسيا تلتقط أول صورة لها مع ما تدعى به "نصر" على قوى الثورة والمعارضة في أحياء حلب الشرقية، الأمر الذي شجعها على تحويل ذلك المكسب العسكري إلى إنجاز سياسي، كانت تمني نفسها به، وتحرق لتحققه في أسرع وقت ممكن.

وليس أدل على استعجال روسيا توظيف نتائج معركة حلب، قبل أن يفلت الوضع من بين أيديها، والاستثمار السياسي في تلك النتيجة بصورةٍ مكثفة، سعيها إلى تحويل منصة أستانة المقامَة على قاعدة التهدئة، وتنبيه خطوط وقف إطلاق النار القائمة، إلى مسار سياسي بديل لِمَوْتَمِرِ جنيف المتعثر، تفرض فيه موسكو رؤيتها للحل المستمد من لحظة حربيةٍ فارقة، ومن تفريـد شـبهـ كـامـلـ بـمـسـارـاتـ الأـزـمـةـ الـكـارـثـيـةـ السـوـرـيـةـ، بـدـلـيلـ طـرـحـ روـسـيـاـ مـسـوـدـةـ دـسـتـورـ سـوـرـيـ جـدـيدـ، وـمـحاـوـلـةـ فـرـضـهـ عـلـىـ الأـطـرـافـ الـمـعـنـيـةـ، وـهـوـ مـاـ شـكـلـ صـدـمـةـ لـلـجـمـيـعـ، بـمـاـ فـيـ ذـلـكـ وـفـدـ النـظـامـ السـوـرـيـ نـفـسـهـ.

مع مرور مزيد من الوقت، خـباـ "الـنـصـرـ"ـ الرـوـسـيـ شـيـئـاـ فـشـيـئـاـ، وـفـاتـتـ لـحظـةـ القـطـافـ السـيـاسـيـ فيـ الـوقـتـ الـمـلـائـمـ، وـتـكـرـيـسـ حـقـيقـةـ دـبـلـوـمـاسـيـةـ مـنـتـهـيـةـ. كـمـ بـدـتـ يـدـ روـسـيـ الطـوـلـيـةـ أـقـصـرـ مـنـ أـنـ تـطاـوـلـ سـائـرـ مـكـوـنـاتـ الـمـشـهـدـ السـوـرـيـ الـمـتـغـيـرـ باـضـطـرـادـ، وـأـضـيقـ مـنـ أـنـ تـحـتـويـ كـلـ الـمـتـغـيـرـاتـ الـمـتـلـاحـقـةـ الـتـيـ ظـلـتـ الـأـزـمـةـ السـوـرـيـةـ الـمـعـقـدـةـ تـنـتـجـهاـ، ثـمـ تـعـيـدـ إـنـتـاجـهاـ، فـيـ النـطـاقـيـنـ؛ الـإـقـلـيمـيـ وـالـدـولـيـ، لـاـ سـيـماـ مـعـ زـيـادـةـ الـحـضـورـ الـأـمـيـرـكـيـ عـلـىـ مـسـرـحـ الـأـزـمـةـ، حـتـىـ وـإـنـ كـانـ الـبـعـدـ الـعـسـكـرـيـ لـهـاـ الـحـضـورـ أـشـدـ رـجـحـانـاـ مـنـ الـبـعـدـ السـيـاسـيـ لـلـدـوـلـةـ الـعـظـمـيـ، الـمـفـتـقـرـةـ بـعـدـ لـاـسـتـرـاتـيـجـيـ خـاصـيـةـ بـهـاـ فـيـ إـطـارـ التـعـاطـيـ مـعـ تـطـورـاتـ الـحـالـةـ السـوـرـيـةـ.

وـأـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ، تـعـدـ الـمـشـهـدـ الـإـقـلـيمـيـ الـمـعـقـدـ أـصـلـاـ، وـطـرـأـتـ عـلـيـهـ تـحـولـاتـ جـدـيدـةـ وـعـمـيقـةـ الغـورـ، مـنـ اـنـعـقـادـ الـقـمـةـ الـأـمـيـرـكـيـةــ. الـإـسـلـامـيـةـ فـيـ الـرـيـاضـ، تـلـكـ الـقـمـةـ الـتـيـ وـعـدـتـ بـقـيـامـ تـحـالـفـ اـسـتـرـاتـيـجـيـ شـرـقـ أـوـسـطـيـ بـقـيـادـةـ الـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـتـيـ قـلـبـتـ صـفـحةـ بـارـاكـ أـوـبـاـمـاـ إـلـىـ صـفـحةـ مـغـاـيـرـةـ، تـشـيـ بـانـخـرـاطـ أـوـسـعـ وـأـعـقـمـ فـيـ شـؤـونـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ وـشـجـونـهـ الـكـثـيـرـ، وـهـوـ مـاـ مـنـ شـأـنـهـ أـنـ يـقـلـصـ حـدـودـ الـمـنـاـوـرـةـ الـمـتـاحـةـ أـمـامـ روـسـيـاـ، إـنـ لـمـ نـقـلـ إـنـهـ سـيـنـهـيـ تـفـرـدـهـاـ الطـوـلـيـلـ، أـوـ عـلـىـ أـقـلـ الـحـدـ مـنـ قـدـرـتـهـاـ عـلـىـ الـلـعـبـ وـحـدـهـاـ فـيـ مـتـاهـاتـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ.

إـزـاءـ ذـلـكـ كـلـهـ، بـدـاـ الإـعـلـانـ عـنـ تـأـجـيلـ مـؤـتـمـرـ أـسـتـانـةـ إـلـىـ أـجـلـ غـيرـ مـسـمـىـ، بـمـثـابـةـ تـحـصـيلـ حـاـصـلـ لـكـلـ هـذـهـ الـمـتـغـيـرـاتـ الـتـيـ تـزـاحـمـتـ عـلـىـ الـمـسـرـحـ الـإـقـلـيمـيـ فـيـ غـضـونـ الـفـتـرـةـ الـقـصـيرـةـ الـمـاضـيـةـ، حـتـىـ لـاـ نـقـلـ إـنـ ذـلـكـ الإـعـلـانـ، الـمـفـاجـئـ عـلـىـ مـاـ بـيـدـوـ روـسـيـاـ فـيـ الـمـقـامـ الـأـوـلـ، كـانـ بـمـثـابـةـ وـرـقـةـ نـعـيـ لـهـذـهـ الـلـعـبـ الـرـوـسـيـةـ الـتـيـ سـبـقـ أـنـ وـصـفـنـاـهـاـ، فـيـ وـقـتـ مـبـكـرـ، بـأـنـهـاـ قـدـ تـحـولـ نـقـطـةـ ضـعـفـ وـإـخـفـاقـ فـيـ سـجـلـ الـدـبـلـوـمـاسـيـةـ الـرـوـسـيـةـ، كـوـنـهـاـ لـعـبـ قـائـمـةـ عـلـىـ الـاـسـتـعـجـالـ وـالـنـفـرـ وـالـمـرـاوـغـةـ، وـلـاـ تـتـمـتـ بـقـوـةـ دـفـعـ ذاتـيـةـ كـافـيـةـ، نـاهـيـكـ عـمـاـ تـوـاجـهـهـ مـنـ جـدـرـانـ صـدـ، تـزـدـادـ، مـعـ الـوقـتـ، صـلـابـةـ، لـيـسـ آخـرـهـ الـحـضـورـ الـأـمـيـرـكـيـ عـلـىـ الـمـيدـانـ السـوـرـيـ، هـذـاـ الـحـضـورـ الـذـيـ يـؤـسـسـ لـمـعـادـلـ سـيـاسـيـ بـالـضـرـورـةـ الـمـوـضـوـعـيـةـ.

وـعـلـيـهـ، يـمـكـنـ الـحـدـيـثـ، مـنـ الـآنـ وـيـصـوـتـ أـعـلـىـ مـنـ قـبـلـ، عـنـ نـهـاـيـةـ هـذـاـ الـمـلـسـلـ الـرـوـسـيـ الرـدـيـ، الـمـسـمـيـ مـؤـتـمـرـ أـسـتـانـةـ، بـثـقـةـ أـعـقـمـ مـنـ السـابـقـ، حـتـىـ وـإـنـ انـعـقـدـ مـرـةـ أـخـرـيـ فـيـ الـأـيـامـ الـمـقـبـلـةـ، طـالـمـاـ أـنـ هـذـاـ الـمـسـارـ الـمـرـاوـغـ فـشـلـ فـيـ تـكـرـيـسـ أـيـ حـقـائقـ سـيـاسـيـةـ كـانـتـ مـنـتـظـرـةـ بـعـدـ مـعـرـكـةـ حـلـبـ، وـأـخـفـقـ عـلـىـ رـؤـوسـ الـأـشـهـادـ فـيـ إـنـتـاجـ مـاـ هـوـ أـكـثـرـ مـاـ تـسـمـيـ مـنـاطـقـ مـنـخـفـضـةـ التـوـرـ،

وهي خدعةٌ روسيةٌ أخرى مكشوفة، وفضلاً عن ذلك كله، عجزت روسيا عن جعل مسار أستانة بديلاً لمسار جنيف، وهذا هو العجز الروسي الأبلغ وضوحاً في خواتيم هذه اللعبة الماجنة.

العربي الجديد

المصادر: